المستبعد أن يكون حسّان قائلهما . وتبقى بعد ذلك اثنتان أخريان يقول في أولاهما :

آلَيْتُ حِلْفَةَ بَرٍّ غيرِ ذِي دَخَلٍ ... مني أَلِيَّةَ بَرٍّ غير إفْنَادِ
باللّهِ ما حَمَلَتْ أُنْثَى ولا وَضَعَتْ ... مِثْلَ النَّبيِّ رَسولِ الرَّحْمَةِ الهادي
ولا مَشَى فَوْقَ ظَهْرِ الأَرْض من أَحَدٍ ... أَوْفَى بذِمَّةِ جارٍ أو بميعادِ
مِن الذي كانَ نُوراً يُسْتَضَاءُ بهِ ... مُبَارَكَ الأَمْرِ ذا حَزْمٍ وإرْشادِ
مُصَدِّقًا للنَّبِيِّينَ الأُلَى سَلَفُوا ... وأَبْذَلَ النّاس للمعروف للجَادِي
خيرَ البَرِيَّةِ إنّي كنتُ في نَهَرٍ ... جارٍ فأَصْبَحْتُ مِثْلَ المُفْرَدِ الصّادِي [1]

والحقُّ أن نسيج هذه القصيدة ليس خيراً من القصيدتين السّابقتين على الرّغم من ورودها في الدّيوان بغير تشكيك في نسبتها ، ومن ورودها في مصادرَ قديمةٍ أخرى .[2] ونحن نحسُّ فيها حرارة التفجُّع والألم ، غير أن فيها ليناً يجعلها أقرب إلى مراثي النّساء .

والقصيدة الرّابعة ، وهي أطول قليلاً ؛ إذ تقع في سبعة عشر بيتاً تبدأ بقوله :[3]

ما بالُ عَيْنِكَ لا تَنَامُ كأنّما ... كُحِلَتْ مآقِيها بكُحْلِ الأَرْمَدِ
جَزَعاً على المَهْدِيِّ أصبحَ ثاوياً ... يا خَيْرَ مَنْ وطِئَ الثرى : لا تَبْعَدِ
جَنْبِي يقيكَ التُّرْبَ لَهْفي لَيْتَني ... غُيِّبْتُ قبلَكَ في بقيع الغَرْقَدِ
أَ أقيمُ بعدَكَ في المدينة بينهم ... يا لَهْفَ نفسي ليتَني لم أُولَدِ

(١) آلَيْتُ : حلفت ، والألية القسم والحَلْف ؛ والدخل : النفاق ؛ والإفناد : الكذب ، والصادي : الظمآن .
(٢) ديوان حسّان ، ص ٢٠٧–٢٠٨ ، وسيرة ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٦٧١ ، والطبقات الكبرى لابن سعد، ج ٢ ، ص ٣٢١ .
(٣) ديوان حسان ، ص ٢٠٨–٢٠٩ ، وسيرة ابن هشام ، ج ٢ ، ص ٦٦٩–٦٧٠ ، والطبقات الكبرى ، ج٢، ص ٣٢٢ .